المحاضرة الثانية: نشاة البيبليوغرافيا

أولا/ البيبليوغرافيا في العصور القديمة والوسطى:

يعد التنظيم الببليوغرافي للمؤلفات من الأعمال قديمة العهد، قدم المكتبات حيث تشير الدراسات إلى وجود أسماء كتب نقشت على جدران معبد (حورس) في مصر القديمة، كما اهتم اليونانيون القدامى بهذا النوع من القوائم لمعرفة ما ألفه أقرانهم من الفلاسفة السابقين، إضافة إلى تراجم حياتهم، وقد صنفت هذه الأعمال ضمن قوائم ببليوغرافية بالمفهوم القديم، لأنها ضمت كل ما يتصل بصناعة الكتاب من تأليف ونسخ وتوضيب، بل شملت حتى حياة المؤلفين في أغلب الحالات، ولعل خير دليل على وجود هذا العلم هو الجداول العظيمة التي وضعها الببليوغرافي الشهير (كاليما خوس)[1] (Callimachus) أمين مكتبه الإسكندرية في العصر اليوناني حيث وصل فيها مقتنيات المكتبة من البرديات[2] 500.000 لفافة وقد وضع هذه الجداول في 12 لفافة كبيرة، حيث رتبت بعضها ترتيبا زمنيا والبعض الآخر ترتيبا أبجديا تبعا للموضوعات أو تبعا للمؤلفين،مع ترجمة عن حياة المؤلف وثبت لمؤلفاته، حيث بدأ كل باب بذكر عنوانه، و استهلاله، وعدد سطوره.

وتعتبر مكتبة الإسكندرية أول معهد بيبليوغرافي عالمي، لأنها لم تقتصر على جمع التراث اليوناني فحسب بل تعدت ذلك إلى جمع تراث البحر الأبيض المتوسط والشرق والهند.

وقد حظي هذا العلم بجهود العرب المسلمين من خلال مهنة (حرفة) الوراقة التي ازدهرت ببغداد بعد معرفة العرب لصناعة الورق، حيث أحصى أحد الرحالة عام 891 م 100 دار للوراقة ببغداد في شارع واحد، ولم تقتصر مهنة الوراقة على وصف الكتب والتعريف بها، بل تجاوزت هذا إلى حدود بيع الكتب

---

[1] كالما خوس (310- 240 ق.م) أول بيبليوغرافي عرفه العالم وهو من أشهر شعراء و أدباء ذلك العصر

[2] البرديات (البردي) نبات ينمو بمصر وتصنع منه لفافات للكتابة بأطوال مختلفة

والورق، وشراء المؤلفات والنسخ وما إليها، ولعل أشهر كتب البيبليوغرافيا العربية القديمة هو كتاب (الفهرست) لابن النديم. ويعد هذا الكتاب من أشهر الببليوغرافيات القديمة العربية وغير العربية، حيث ذكر فيه مؤلفه أسماء العديد من المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم في العلوم المختلفة بشكل منظم ومبوب على عشرة موضوعات رئيسة، وقد حفظ هذا الكتاب أسماء مؤلفات مفقودة، ولم يتفرد ابن النديم بهذا العلم، بل أحصى لنا الدارسون أسماء لا تقل أهمية عنه أمثال: الفارابي في كتابه " إحصاء العلوم وترتيبها" و"ابن خير"[3] في كتابه "الفهرست" في القرن السادس الهجري، والذي يرصد المكتبة العربية في الأندلس.

كما أحصى العلماء المسلمون في القرن السادس عشر ميلادي عددا آخر من الببليوغرافيات التي لا تقل أهمية عن سابقاتها ذكر منها الدارسون كتاب " مفتاح السعادة ومصباح السيادة " لطاش كبرى زاده 1561 م. وكذلك كتاب "كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون" لحاجي خليفة 1656 م. أما الاهتمام بالإصدارات الببليوغرافية في أوروبا فلا يكاد يحصي الدارسون له عدد إلا في منتصف القرن السادس عشر على يد السويسري Conrad Gesner في كتابه الموسوم Bibliotheca الذي حاول أن يجمع بين طياته المطبوعات المنشورة في أنحاء العالم حتى عصره، وتعد محاولته هذه رائدة في هذا المجال بالرغم من عدم تمكنه من تغطية جميع هذه المؤلفات بشكل فعلي.

ثانيا/ البيبليوغرافيا في العصر الحديث:

لقد استخدمت كلمة بيبليوغرافيا في أوروبا لأول مرة من قبل " جبرييل نوديه" أمين مكتبة الكاردينال مازاران في فرنسا ضمن كتابه " الببليوغرافيا السياسية" والذي صدر سنة 1633، حيث تطرق في هذا المؤلف إلى آثار المؤلفين الذين كتبوا عن السياسة، فلاسفة و مؤرخين، ويعد المؤرخ "**جان فرانسوا**" المنحدر من عائلة

[3] ابن خير محمد: عاش في القرن (6 هجري) يعود نسبه إلى مدينة اشبيلية في الأندلس قبل أن اشتراك تسمية كتابه مع كتاب ابن النديم من قبيل ثوارد الخواطر

ديلا روشيل أول من أوضح فكرة البيبليوغرافيا في فرنسا بمفهومها الحديث حيث قسمها إلى فرعين:

– الأول يعود إلى فن الطباعة والثاني إلى الكتب نفسها وتاريخها وفهارسها وتصنيفها وقيمتها الذاتية ومؤلفيها.

وتعد الثورة الفرنسية أول من أنشأ مصلحة وطنية للبيبليوغرافيا، حيث أسست " المكتب البيبليوغرافي المركزي" في باريس، الذي ضمّ 10 موظفين ثمانية منهم مفهرسين، وذلك بعد أن قامت الثورة بتأمين أملاك الجمعيات الدينية، والهيئات الجامعية، ومصادرة أملاك المهاجرين، ومكتبات الأديرة، مما جعل الدولة مالكة لمجموعة كبيرة من المخطوطات والكتب التي وضعت داخل مستودعات واسعة، وهذا ما تطلب إحصائها ووضع جداول لها، ليصبح بعد ذلك كل ما له علاقة بالكتب موضع تحقيق وتسجيل، دون أن يتغير مفهوم البيبليوغرافيا باعتبارها جزء من علم المكتبات.

غير أن المفاهيم الببليوغرافية التي كانت سائدة، انقلبت على يد المفكر والأديب الفرنسي " **جابرييل بينو**"عام 1812 حيث أطلق اسم البيبليولوجيا على علم الكتاب وجعل من البيبليوغرافيا فرعا من البيبليولوجيا أي الفرع الذي يهتم بفهارس الكتب، وهو أول من ميز بين البيبليوغرافيا العامة و البيبليوغرافيا المتخصصة، وما يعاب عليه أنه لم يذكر الخدمات التي تؤديها الفهارس والتي سجل لها ثلاثة آلاف عنوان في كتابه " الفهرس العام للبيبليوغرافيا" عام 1812م.

وكان قبل هذه الفترة بقليل قد ظهرت عناوين كتب تحمل لفظة " بيبليوغرافيا" درست تاريخ الكتاب والطباعة والطابعين الأوائل، مع دراسة قواعد وضع الفهارس وطرق ترتيبها والتصنيف، وتدابير حفظ الكتب متجاوزة بذلك مهمتها التي أوكلها لها كما ظهرت في هذه الفترة أيضا جمعيات بيبليوغرافية كانت تهتم بالمؤلفات بشكل عام.

ويعد " الفهرس البطاقي الموحد" لبروسيل "Brussels Union Catalogue" أهم عمل بيبليوغرافي ظهر في نهاية القرن 19، الذي احتضنه المعهد الدولي للببليوغرافيا والذي أنشئ عام 1895 حيث قام بنشر مليون بطاقة توضح أماكن المطبوعات داخل المكتبات الأمريكية والأوروبية، غير أن هذا العمل توقف نظرا للصعوبات الكبيرة التي واجهته.

وفي عام 1890 ظهرت محاولة بيبليوغرافية في سويسرا تمثلت في إصدار نوع من البيبليوغرافيا المتخصصة، حاول أصحابها تغطية المؤلفات في العلوم البيبليولوجية وما يتصل بها في مدينة " زيوريخ" كما صدر في مطلع القرن العشرين أيضا "الفهرس العالمي للمؤلفات العلمية" في محاولة لتغطية جميع ما ينشر في ميادين العلوم، غير أنه توقف بعد 17 عاما من الصدور، لما اعترضه أيضا من صعوبات.

هذا وكانت البيبليوغرافيا النقدية قد بدأت في الظهور مع بداية القرن 18، كما عملت البيبليوغرافيا القومية والخاصة على التعريف بعناوين الدوريات منذ القرن 19، أما مطلع القرن الـ20 فقد برزت فيه البيبليوغرافيا الموضوعية – التحليلية للكتب ومقالات الدوريات وقد عرف المكتبي المعروف "شارل مورتيه" البيبليوغرافيا آنذاك بقوله: " أنها دراسة الفهارس التي وضعت فيها الكتب وصنفت، والتي يجب الرجوع إليها باستمرار سواء لتحقيقه هوية كتاب أو للاستعلام عما نشر حول الموضوع"، وهكذا أرجع للببليوغرافيا وظيفتها الأساسية، وأوضح فوائدها في تحقيق هوية المؤلفات والتزويد بالمعلومات.

أنواع البيبيلو غرافيا: